Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يصير فرقة كبيرة من الفرسان المغاوير الأشاوس، وطواحين الهواء يراها أشباحاً شيطانية، ولابدَّ من أن يتخلص منها أيّاً كان الثمن) وهو بذلك يريد أن يرفع من قيمته هو نفسه، وهذه السمة نادرة الورود والحدثان في الأدب، وكذلك الأمر، فإن نظرة سانشو ضرورية لأن الكثير من الأمور والأحداث لا تحتمل الخيال أو الشطح، وأن واقعية سانشو، وسذاجته، وضعف إدراكه ضرورة لابدّ منها لكي تستقيم الأمور، ولكي تتوازن الحياة وتسير في الحدين معاً، الواقعي المعروف المدرك، والمحلوم المشتهى.

والمدهش فعلاً، أن القارئ يظلّ مدهوشاً برؤية دون كيشوت وسانشو معاً على الرغم من معرفته الأكيدة بمنطق الشخصيتين منذ استهلالات الرواية الأولى، إذ يظل متطلعاً إلى خيال دون كيشوت ورؤيته تجاه الحوادث والمغامرَات الجديدة، كما يظل متطلعاً إلى معرفة واقعية سانشو التي تأتي، عادة، إجابات عن أسئلةٍ يثيرها دون كيشوت أو تعقيبات على أقواله وآرائه، وبذلك ينهض التضاد من خلال هذه التصادمية الحادة والجارحة ما بين النظرتين وتقابلهما.

وهذا الرأي لا يعني تبات الشخصيتين وعدم تطورهما، أو أن إحداهما إيجابية، والأخرى سلبية، أبداً لأن هذه التصادمية منتجة ومولّدة وذات تطور على الدوام دون أن تفارق كلا النظرتين أساسياتهما الأولى ومنابعهما الأصلية، أعني الانطلاق من الواقع إلى الحلم مرة، والانطلاق من الوافع إلى الواقع نفسه كحدث ونتيجة مرة ثانية، وهنا بالضبط يكمن أحد أهم مفاتيح رواية (دون كيشوت) كما يكمن أهم سرّ من أسرار خلودها.

-4-

صفه النبل وإسقاطها على الآخرين والأشياء والمرئيات تتبدى منذ القصة الإطارية الأولى في الرواية، تلك التي تستهل برغبة دون كيشوت أن يكرس نفسه فارساً جوّالاً بعدما اتخذ قراره الخطير أن يغادر بلدته وإقليمه الصحراوي وبيته، والقيّمة على خدمة منزله، وابنة أخته بحثاً عن الشهرة والأمجاد وقد ناهز عمره الخمسين عاماً، فتقوده قدماه إلى المناطق المجهولة البعيدة عن أعراف المدينة وأخلاقها، المدينة التي أدار دون كيشوت لها ظهره كاحتجاج أولي مبكر على المظاهر والأعراض الاستبدادية التي راحت تشيع، وغايتها إعادة الإنسان إلى أشكال العبودية المتطورة والجديدة، لقد نفر دون كيشوت إلى المساحات